ISSN : **2602-618X**
EISSN: **2710-8031**

دراسة أثرية فنية لمخطوط التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية لمؤلفه أبي عبد الله محمد بن ميمون الزواوي الجزائري

Artistic study of a manuscript « atuhfa almurdhiya »

الدكتور فيصل نايم، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2
naimfaycal@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2019/10/26 تاريخ القبول: 2020/01/17 تاريخ النشر: 2020/01/31

الملخص:

يعد مخطوط التحفة المرضية لمؤلفه أبي عبد الله محمد بن ميمون الزواوي الجزائري من النوادر النفيسة المحفوظة بالمكتبة الوطنية الجزائرية، تحت رقم الجرد 1625، فهو بذلك يعتبر مصدرا هاما و أصيلا للدارسين والباحثين في عدة مجالات للمخطوط، بحيث يجمع في أهميته بين قيمتين هامتين: قيمة علمية تمثلت في مجال السير والتراجم و التاريخ والآثار والأدب، إلى جانب القيمة الفنية التي اشتملت أساسا على المظاهر الفنية التي يظهر بها شكل المخطوط علما أن هذا الجانب لم يحظ باهتمام الدارسين كتحفة فنية ، إذ لم يتطرقوا إلى دراسة الجوانب المادية للمخطوط ذاته كقطعة أثرية فنية تسهم في الكشف على العديد من المظاهر الكوديكولوجية، والتي تساهم في تشكيله صناعة فنية تجعل من المخطوط تحفة نادرة ومميزة تستهوي الكثير من الدارسين للنظر في جمالية عناصره المكونة، كفن الخط العربي وفن التذهيب، والزخرفة، على غرار ما نجده في النص ومدلوله من علامات الحاشية وأطر البسملة والاستهلال وعلامات نهاية الجمل والفواصل، والتي جميعها تقدم اثراءات فنية جديدة في مجال فنون الكتاب، علاوة على المعلومات القيمة التي يحملها في المتن الذي بين دفتيه. ويتضح من خلال هذه الدراسة، ظهور بعض التأثيرات المشرقية على الخط في نص الاستهلال ونهاية المخطوط، وكذا عناوين المقامات، بالإضافة الى تنميق وزخرفة بعض الصفحات واحتوائها على علامات الحواشي، كالشموس والدوائر بألوان مختلفة، مع استعمال الخط المغربي في كتابة نص

ISSN : **2602-618X**
EISSN: **2710-8031**

المخطوط بسطور منتظمة. وسنحاول في هذا المقال عرض أهم المظاهر الفنية الواردة في المخطوط موضوع الدراسة.

الكلمات المفتاحية: مخطوط ؛ خط ؛ فن ؛ مظاهر ؛ علامات ؛ تذهيب ؛ زخرفة

Abstract: The manuscript of " Abi Abdallah Mohammed Ben Mimoun Ezzouaoui Eldjazairi " about the « Tuhfa Al murdhiya » is one of the precious manuscripts preserved in the Algerian National Library , under the inventory number 1625 . It is , then , an essential source for researchers in several domains, it covers two prominent values : a scientific about biographies , translations, history, archaeology and literature, in addition to an artistic value that is apparent in the artistic images of the manuscript's form . However, researchers were not attracted by studying the material side of the manuscript as an artistic antique piece that contributes in showing several codicological aspects that play a role in making it a special masterpiece that attracts many scholars to consider the beauty of its components . For instance : Arabic calligraphy, art of illumination and ornament, similar to the footnote marks, basmala frames, prologue, and punctuation. All these elements offer new artistic enrichments . This study also shows the emergence of some eastern influences on calligraphy as well as the maqamat headings, retouch and decoration of some pages with suns and circles of different colors , footnote marks and the use of Maghrebian calligraphy in writing the manuscript in orderly lines .

Key words : manuscript, calligraphy, art, notes, decoration, ornamentation.

مقدمة:

تزخر بلاد الجزائر بالعديد من المؤلفات في شتى العلوم، لا سيما في مؤسساتها الثقافية كالمكتبات والزوايا والمدارس كجهة رسمية، وأيضا عند الخواص كالخزائن والمكتبات العائلية، وبذلك تعد هذه المخطوطات تحفا فنية تحظى بالدراسة من عدة جوانب تتعلق بالكوديكولوجيا

ISSN : **2602-618X**
EISSN: **2710-8031**

والتي يتكون منها المخطوط كقطعة مادية أثرية تساهم في تشكيله لصناعة فنية تجعل من المخطوط تحفة نادرة ومميزة تستهوي الكثير من الدارسين للنظر في جمالية عناصره المكونة كالتجليد والتذهيب والرسم والزخرفة والخط والكتابة، على غرار محتوى النص ومدلوله.

ولعل من أهم مواضيع دراسة المخطوطات في شكلها المظهري هو دراسة مخطوط - **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية- لمؤلفه أبي عبد الله محمد بن ميمون الزواوي الجزائري**- الذي حظي بدراسة تاريخية وأدبية دون التطرق إلى الجوانب المتخفية في المخطوط ذاته كقطعة أثرية فنية تسهم في الكشف عن العديد من الدلالات الفنية، وتضيف إثراءات فنية جديدة على غرار ما يحمل في طياته من معلومات قيمة، ولذا جاء موضوع دراستنا ليعرض لنا المظاهر الفنية في المخطوط بمختلف أنواعها.

1- التعريف بالمخطوط:

لمخطوط التحفة المرضية عدة نسخ[1] أما النسخة موضوع الدراسة فهي محفوظة بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم الجرد 1625 وهي ذات حجم صغير طول كل صفحة 20.3 سم وعرضها 15 سم، وتحتوي كل صفحة على 12 سطرا، وعدد صفحاتها 187 صفحة، وقد تم إهداء هذه النسخة إلى المكتبة الوطنية الجزائرية من طرف الأستاذ فاليي- vallier-[2]، ويعود تاريخ نسخها إلى عام 1121هـ /1709م ، وقد قام ليون فاي -Leon Fey- بترجمتها إلى اللغة الفرنسية ونشرها عام 1846 م، وظل الأصل العربي غير مطبوع ، ولم يصبح في متناول القراء إلا بعد أن قام بتحقيقه الأستاذ والباحث محمد بن عبد الكريم اعتمادا على عدة نسخ، مع دراسة موسعة لأوضاع الجزائر ووصف خاص لمدينة وهران في العهد العثماني ونشر بالجزائر عام 1972م في 413 صفحة[3]. كما توجد نسخة أخرى في طبعتها الثانية ضمن سلسلة ذخائر المغرب العربي، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981م.

[1] - ناصر الدين سعيد وني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي "تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين"، الطبعة الأولى ، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ص401.

[2] - نفسه ، ص 402. أنظر أيضا: محمد بن عبد الكريم، تقديم وتحقيق للتحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، دخائر المغرب العربي، الطبعة الثانية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ، 1981، ص107.

[3] - ناصر الدين سعيد وني، المرجع السابق ، ص402.

ISSN : **2602-618X**
EISSN: **2710-8031**

والكتاب المخطوط هو عبارة عن نسخة فاخرة كتبت بماء الذهب في بداية المخطوط ونهايته و نقلت هذه النسخة من مسودة بخط المؤلف في حياته (Manuscrit Apographe).[4]

2- التعريف بالمؤلف:

هو أبو عبد الله محمد بن ميمون الزواوي الجزائري المنشأ وأصله من زواوة، مؤرخ وأديب وفقيه صوفي، ولد بمدينة الجزائر من عائلة اشتهرت بالعلم، فقد كان جده أبو العباس أحمد بن عبد الله الزواوي (1479م) عالما بالفقه واللغة وواضع المنظومة الجزائرية في التوحيد[5] إلى أن الكثير لايعرف عن حياته ومولده وتاريخ وفاته، ويتبين لنا من خلال رحلة ابن حمادوش الجزائري أنه كان حيا سنة 1159 هـ.[6]

كما سكتت عن تحديد زمان ولادته ووفاته كتب التراجم والأعلام كمعجم أعلام الجزائر لعادل نويهض وتعريف الخلف برجال السلف للحفناوي وأعلام الفكر والثقافة ليحيى بوعزيز ، ربما يرجع هذا لتلف المصادر والمراجع أثناء الاحتلال الفرنسي[7]، ومهما يكن فإن شخصية ابن ميمون قد كانت معاصرة للداي محمد بكداش وصهره أوزن حسن، وهذين الرجلين كانا على قيد الحياة في سنة 1152هـ /1740م[8]، حيث قُتلا على يد الداي دالي ابراهيم[9].كما أن محمدا بن ميمون كان يعاصر زمرة من أدباء العصر وفقهائها وقد ذكر ابن ميمون نفسه بعضا منهم أمثال شيخه أبو عبد الله محمد الثغيري الجزائري[10].اشتهر محمد بن ميمون بتأليفه لسيرة الداي محمد بكداش التي وضع لها عنوان التحفة المرضية في الدولة البكداشية، والتي كانت مثار اهتمام وتقدير معاصريه.[11]

---

[4]- رشيد بن مقدم، من نفائس مخطوطات المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزء الأول، منشورات المكتبة لوطنية الجزائرية، الجزائر، 2013، ص126.

[5] - ناصر الدين سعيد وني، المرجع السابق، ص398.

[6]- معجم الأعلام، عادل نويهض، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، 1980، ص365.

[7]- أد/أحمد جعفري، أ/أحمد راجع، الحقل الدلالي في مقامات محمد بن ميمون الجزائري ق18 .

- رشيد مقدم، المرجع السابق، ص126 .أنظر أيضا رحلة ابن حمادوش، تحقيق أبو القاسم سعد الله، المكتبة [8]الوطنية، 1983، ص، 237.

[9] - محمد بن عبد الكريم، المرجع السابق، ص 12.

[10] - محمد بن عبد الكريم، المرجع السابق، ص 12.

[11]- ناصر الدين سعيد وني، المرجع السابق، ص399.

ISSN : **2602-618X**
EISSN: **2710-8031**

3- مضمون النص:

يعد هذا المخطوط أحد أهم المصادر التاريخية ووثيقة هامة تختصر لنا الحياة السياسية والدينية في الفترة العثمانية إبَّان حكم الداي محمد بكداش وترجمة لحياته السياسية وما حققه من انجازات عسكرية حين قهر الاسبان وحرر مدينة وهران واستتب الأمن والاستقرار.

كما يضم المخطوط مقدمة و ستة عشر فصلا يسمى كل فصل مقامة أي مقامة أدبية من حيث الأسلوب وتاريخية من حيث الواقع تتوزع على 795 بيتا شعريا.وكل مقامة تروي جانبا مهما من سيرة الحاكم محمد بكداش وما تحقق في حياته من انجازات وما تخلل أثناء فترة حكمه من أحداث تاريخية وسياسية ودينية خاصة وجوانب من الحياة اليومية خلال العهد العثماني عامة.

كما جاءت مواضيع هذه المقامات موزعة على جزأين، الأول منهما يضم المقامة الأولى إلى غاية المقامة الثامنة، وفيه ركز المؤلف محمد بن ميمون الزواوي الجزائري على سيرة محمد بكداش ومناقبه وعلاقته بالتصوف ثم التعريف بوزرائه وقضائه وذكر ما قيل فيه من مدح وشعر ونثر.أما الجزء الثاني فيشمل المقامة التاسعة إلى غاية المقامة السادسة عشر والتي ركّز فيها بدقة على إنجازات الحاكم محمد بكداش وما تحقق في فترة حكمه.كما يبدو أن هذه المقامات جاءت مرتبة ترتيبا كرونولوجيا سردت فيها وقائع وأحداث تاريخية مهمة ومتنوعة شاهدة عيان على هذه الفترة لأن مؤلفها عايش أحداثها وسمع أخبارها عن قرب.

ISSN : **2602-618X**
EISSN: **2710-8031**

4 - البطاقة الفنية:

الموضوع	تاريخ	
المؤلف	أبو عبد الله محمد بن ميمون الزاوي النجار الجزائري	
العنوان	التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية	
طبيعة المخطوط	تام	
الغلاف	/	
عدد الأوراق	187	
مقاس الورقة	15 X 20.3 سم	
عدد السطور	12	
نظام السطر	منتظم	
نوع الخط	خط مغربي	
لون حبر	أسود — ذهبي	
الناسخ	أبو عبد الله محمد بن ميمون الزاوي النجار الجزائري	
التاريخ	1121 هـ / 1710 م	
التوقيع	/	
مكان الحفظ	م.و.ج	
رقم الجرد	1625	

ISSN : **2602-618X**
EISSN: **2710-8031**

5 - دراسة وصفية للمظاهر الفنية للمخطوط:

5-1- فن التذهيب والتلوين:

- اطار الاستهلال:

زُينت الصفحة الأولى من صفحتي بداية المخطوط باطار مستطيل الشكل وبسيط، هذا الأخير يتكون من إطارين أخضر وأصفر ويحتوي داخله على نص يشير إلى مؤلف الكتاب وهو كالتالي:

- هذه مقامات للفقيه العلامة
- الدراكة الفهامة الأديب البليغ سيد
- محمد بن ميمون الجزائري رحمه الله (صورة1).

يشار إلى أن صاحب المؤلف عاش حتى بعد سنة **1740** م حسب ما ورد عند الأستاذ أبي القاسم سعد الله[12].

كما احتوت حاشيتا الصفحتين على ثلاثة شموس متراكبة فوق بعضها أكبرها أوسطها، تتكون من مركز برتقالي اللون أحيط بدائرة ذهبية اللون وأحيط كل التركيب بخطوط دقيقة نوعا ما تنتهي بأشكال تشبه الأشعة. (صورة 2).

وتحتوي كل صفحات المخطوط على علامات نهايات الجمل على هيئة دوائر ذهبية اللون.

- ختام المخطوط:

ذيل بعبارة - كمل بحمد الله تعلى - بخط أكبر حجما وبلون ذهبي. وكتب أسفل نفس الصفحة النص التالي:

- وكان الفراغ من نسخة من مسودة بخط مؤلفه في أواخر جمادى الأخرى عام
- أحد وعشرين ومائة وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل صلاة سنية.

5-2- فن الخط:

- نوع الخط: الخط المغربي.

[12] رحلة ابن حمادوش، تحقيق : أبو القاسم سعد الله، المكتبة الوطنية، 1983، ص237.

ISSN : 2602-618X
EISSN: 2710-8031

- نظام السطر: جاءت السطور منتظمة نوعا ما، كما وجدت فجوات واسعة بين الكلمات، مع وجود مسافة كافية بين السطور.
- الشكل والإعجام: استعمل حبر كتابة الحروف في الشكل والإعجام وهو الحبر الأسود.
- كتابة الاستهلال: كتبت البسملة بالحبر الأسود وبحروف جلية وشديدة التقوير في بعض الحروف كالراء والميم والياء، وجاء عنوان الكتاب ومؤلفه بحروف سوداء دقيقة مع امتداد حرفي الميم واللام في عبارة - رحمه الله-.
- كتابة عناوين الفصول والأبواب: كتبت عناوين المقامات بالتسلسل مثل- المقامة الأولى - وبحروف كبيرة باللون الذهبي مع انعدام النسبة الفاضلة في كتابة الحروف.
- كتابة النص: استعمل الحبر الأسود في كتابة نص المتن، واستعملت حروف دقيقة مع شدة تقوير بعض نهايات الحروف، وكتبت العبارات ذات الأهمية باللون الذهبي على غرار عناوين المقامات وبقطة غليظة، مع عدم تناسب الحروف مما أثر على توازن كلمات النص عموما (صورة 3).
- كتابة ختام المخطوط: جاء نص الختام بحروف ذهبية بقطة غليظة، وذكر فيه عبارة - كمل بحمد الله تعلى- بنفس طريقة كتابة عناوين المقامات.مع عدم تناسب الحروف في الكتابة وتداخلها مع بعضها البعض، وتظهر عليها التأثيرات المشرقية وخاصة مع ظهور تلك التوريقات التي تزين نهاية الياء في كلمة - تعلى — صورة (04).

6- دراسة تحليلية للمظاهر الفنية للمخطوط:

6-1- الأطر:

- **اطار الاستهلال:**

ونعني به بداية النص، وعادة ما كان يبدأ بالبسملة والحمدلة والتصلية، ثم يبين المؤلف هدفه من تأليف الكتاب ومحتوياته، وفي بعض الأحيان يذكر المصادر التي اعتمدها، ثم يذكر اسمه وعنوان كتابه، ويمكن الاستدلال بسهولة على عصر المخطوط إذا عرفنا كيف استهل المؤلف

ISSN : **2602-618X**
EISSN: **2710-8031**

مخطوطه، فإن ذلك يساعد كثيرا في تحديد الفترة التي ظهر فيها المخطوط، لأن المؤلف كان يحاول مجاراة الفترة التي كان يعيش فيها.[13]

ويلاحظ أن عنوان المخطوط يتميز عن النص إما باختلاف لون المداد الذي كتب به أو كتابته بخط أكبر حجما من الخط المتبع لكتابة الموضوع نفسه.[14]

زينت الصفحة الأولى من صفحتي بداية المخطوط باطار مستطيل يتكون من إطارين ويحتوي بداخله على على نص يشير إلى مؤلف الكتاب.

6-2- العلامات:

تعتبر الشمسة من أهم علامات الحاشية عموما وهي عنصر زخرفي على شكل دائرة بيضاوية تكون عادة مذهبة ومرصعة بزخارف إشعاعية تخرج من جوانبها مما دعا إلى تسميتها بالشمسة لتشابهها مع كوكب الشمس، وغالبا ما نجد في وسط الشمس عنوانا يتضمن اسم مالك المخطوط أو اسم من خُط لأجله داخل جامات وغالبا ما تُدون الكتابات بخط ملون أو مذهب أو أبيض يختلف عن خط متن الكتاب، وتوجد زخرفة الشمسة عادة بعد عدة صفحات من بداية المخطوط في صفحة تقع في الجهة اليسرى لمن يفتح الكتاب[15]

6-2-1-علامات الحاشية:

نجدها في الجهات الأربعة لصفحات المخطوط والتي تسمى بالهوامش وهي المساحات الخالية من الكتابة والتي تحيط بنص الكتاب المخطوط من جهاته الأربعة في كل صفحة من صفحاته، وللهوامش فوائد عديدة، فهي تُستعمل لتدوين بعض التعليقات أو الإضافات أو التصويبات، سواء من المؤلف أو الناسخ أو القارئ، فقد دأب قُرّاء المخطوطات بمرور الزمن وخاصة المثقفون منهم على الكتابة في الهوامش كتعليقات أو تقريرات أو شرح وذلك أثناء قراءتهم للمخطوط، وإذا كثرت تعليقاته اعتُبر تأليفا يحمل مسمى الحاشية.

---

[13] فضل جميل كليب، فؤاد محمد خليل عبيد، المخطوطات العربية - فهرستها علميا وعمليا- الطبعة الأولى، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان ، 2006، ص37.

[14] عزت ياسين أبو هيبة، المخطوطات العربية - فهارسها وفهرستها ومواطنها في جمهورية مصرالعربية- الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1989ص 44، 45.

[15]- نوارسامي محمد، فن صناعة المخطوط الفارسي، الطبعة الأولى، دار الوفاء للطباعة والنشر، الاسكندرية، ص49، 48

ISSN : **2602-618X**
EISSN: **2710-8031**

وكلمة حاشية نفسها مأخوذة من هذا المعنى أي ما يكتب على الكتب المخطوطة كتبا مستقلة بذاتها آخذة نفس الاسم مثل : حاشية على شرح تلخيص المختصر - حاشية على تحرير القواعد المنطقية.

ومن فوائد الهوامش أيضا تسهيل عملية التجليد، إذ يمكن تجليد الكتاب المخطوط دون تعرض النص للضرر. كما أن الهوامش تحمي النص أثناء القراءة، فإنه من عادة القراء حين يمسكون الكتب يضعون أصابعهم على هوامش الصفحات، وهو ما قد يلحق بالنص ضررا من لمسه بالأيادي، خاصة إذا كانت ملوثة، أو بها رطوبة من ماء أو عرق أو نحو ذلك.[16]

احتوت حاشيتا صفحتي بداية المخطوط على ثلاثة شموس متراكبة فوق بعضها البعض أكبرها أوسطها و أحيط كل التركيب بخطوط دقيقة نوعا ما تنتهي بأشكال تشبه أشعة الشمس. أنظر(صورة02).

6-2-2- علامات الترقيم:

هي الأدوات التي نستخدمها للفصل بين الجمل كالفاصلة والفاصلة المنقوطة والنقطة وغير ذلك من العلامات التي اتفق المؤلفون والنساخون والباحثون على استعمالها في كتاباتهم،[17] فتُستخدم الدوائر الصغيرة والبيضاوية والقليبات والمثلثات والنجوم بنقطة في وسطها [18] أو دائرة منقوطة من الداخل أو دائرتان متجاورتان أو دائرتان متماستان أو دائرة يقطعها خط يخرج من داخلها إلى خارجها أو دائرة يخرج منها خط منحني يتجه يسارا ثم ينعطف ناحية اليمين مكونا ما يشبه الميم المائلة.[19] وهي بمثابة علامات الترقيم دونها، وتُكتب أحادية أو ثنائية أو ثلاثية وتوضع في آخر الكتاب أو الفصل أو الباب أو مقطع النص، بما أن مفهوم الجملة لم يكن موجودا في علم اللغة العربية، لم يكن يعرفها الناسخون، فلذلك كانت علامات الترقيم تستعمل للفصل بين وحدات المدلول التي كان النص يجزئ إليها في كثير من الأحيان حسب إرادة المؤلف، وعندما يكون النص واضحا طبقا لما أراده المؤلف و مجزءا بشكل دقيق إلى فقرات كانت علامات

[16] عبد العزيز بن محمد المسفر، المخطوط العربي وشيء من قضاياه، الرياض، ص 88، 89.
[17] نفسه، ص 90.
[18] انس خلدوف، المخطوطات العربية وتقاليدها، الطبعة الأولى، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، 2009، ص219.
[19] عبد العزيز بن محمد المسفر، المرجع السابق، ص 90.

ISSN : **2602-618X**
EISSN: **2710-8031**

الترقيم تستخدم بالتوالي وبصورة منتظمة، فكانت على هذا الشكل المصاريع الشعرية التي كانت تُفصل عن بعضها بمجرد فراغ أو بإحدى العلامات المذكورة، وفي الغالب كانت النجمة تستخدم كعلامة الترقيم والتفصيل وفي أحيان كثيرة كعنصر زخرفي بالحبر الملون أو المذهب وما شابه ذلك.[20] ووردت علامات الترقيم في نهاية جمل نص هذا المخطوط على هيئة دوائر ذهبية اللون **صورة (05).**

6-3- فن الخط العربي:

كان الخط العربي ذا تأثيرات عديدة في شتى ميادين الآداب والفنون والعلوم، وقدم الخطاطون نماذج إبداعهم لتسجيلها في شتى صنوف الصناعات اليدوية والمباني، ناهيك عن المخطوطات والنسخ التي حفظت تراث الأمة.

وجاء الإسلام حاملا معه العوامل التي فرضت استخدام الكتابة وزادت من ساحة استخدامها اتساعا فاكتسبت الكتابة أهمية كبيرة، وبدأ الخط يعرف تطورا تدريجيا بين الفنون حتى أصبح له مدارسه الخاصة وكُتابه ونُساخه الكبار، وقد أخذ العديد من الأسماء إذ كان العرب يميلون إلى تسمية الخطوط بمسميات إقليمية تدل على استجلابه منها.[21]

وتعددت أسماء الأقلام العربية منذ القرون الأولى، واعتراها التغيير والتبديل، ومن أولى المصادر لهذه الأسماء ما أورده ابن النديم المتوفى سنة 392هـ / 1002م، في كتابه - **الفهرست** - والملاحظ أن أسماء الخطوط تنسب إلى أماكن اختراعها أو تجويدها كالمكي والمدني والكوفي، أو بالنسبة لحجم الورق المستعمل، وقد ينسب القلم إلى الغرض الذي يستعمل فيه، كالطومار والثلثين والثلث والرقاع والتواقيع وخط المصاحف، وأخيرا نسبته إلى أوصافه كالمسلسل وغبار الحلية والمنثور.[22]

6-3-1 نوع الخط:

[20] انس خلدوف، المرجع السابق، ص219.

بسام الدغستاني، المخطوط العربي الاسلامي، حفظه، معالجته، ترميمه، الدورة العربية الخامسة لترميم المخطوطات ، دبي، 2002، ص 10. [21]

[22] محمد بن سعيد شريفي، خطوط المصاحف عند المشارقة والمغاربة-من القرن الرابع الى القرن العاشر الهجري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1975ص32.

ISSN : **2602-618X**
EISSN: **2710-8031**

استعمل الخط المغربي في كتابة نص المخطوط، بحيث دخل الخط العربي للمغرب مع الفتح الإسلامي، ويبدو أنه أخذ يتحسن من أوائل المائة الثانية للهجرة، والغالب أن الخط المغربي كان في أول الأمر ذا طابع شرقي محض، تأثرا بكتابة الفاتحين العرب، ثم أخذ يميل إلى الكوفي والنسخي المستعملين معا في هذه الفترة بالقيروان.[23]

وفي مطلع القرن الرابع الهجري، كان طلاب الفقه في مدينة القيروان لا يزالون يدرسون نصوصا كتبت بالخط الكوفي، ورغم استعمالهم للخط الكوفي إلا أنهم بدءوا منذ ذلك الوقت يلطفون من حدّة هذا الخط الذي يقوم على زوايا دون تسطيرها بسهولة وسرعة كافية، و يتمثل هذا التحول الذي ظهر على استحياء في قطعة من مدونة سحنون المكتوبة عام 334هـ / 946م، ليظهر بوضوح في قطعة اكتشفت مع القطعة السابقة في جامع القيروان، و تعتبر حروف الكتابة في هذه القطعة تعبيرا صادقا عن التحول المباشر من الخط الكوفي إلى الخط المغربي.[24]

وعلى الرغم من أن المشارقة أخذوا بالإصلاح الذي قام به ابن مقلة في الخط و قللوا من استخدام الخط الكوفي، فإن المغاربة ظلوا يستخدمون الخط الكوفي ثم ليّنوه و خففوا من حدّة زواياه، و منذ ذلك الحين تمسك المغاربة بهذا النوع من الخط الذي يتيح الكتابة السريعة العادية ذات الاستعمال العام و لذلك لم يروا ضرورة لتبني الكتابة الجديدة.[25]

كما استعمل المغاربة نُقط الإعجام، مع تنقيط حرف القاف بنقطة واحدة من أعلى وحرف الفاء بنقطة واحدة من أسفل، واستخدموا كذلك الشكل لتوضيح حركات الإعراب تبعا لطريقة خليل بن أحمد[26] ثم زادوا في التأنق إذ سطروا بعض الحروف، وخففوا أشكال البعض الآخر المثقلة.[27]

---

[23] محمد المنوني، تاريخ الوراقة المغربية - صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط إلى الفترة المعاصرة - منشورات كلية الاداب والعلوم الإنسانية بالرباط - سلسلة بحوث ودراسات، رقم 2، جامعة محمد الخامس، المملكة المغربية، 1991، ص17.

[24] خيرة بن بلة، دراسة في النقوش الكتابية التذكارية على المباني بمدينة الجزائر في العهد العثماني، رسالة ماجستير جامعة الاسكندرية، 1993، ص 248.

[25] خيرة بن بلة، المرجع السابق، ص 249.

[26] شريفي محمد بن سعيد، المرجع السابق، ص 245.

[27] خيرة بن بلة، المرجع السابق، ص249.

ISSN : **2602-618X**
EISSN: **2710-8031**

وكان انتشار الحرف المغربي في العالم الإسلامي موافقا للغاية لانتشار مذهب مالك، ففي المناطق التي انتشر فيها هذا المذهب مثل الأندلس والمغرب والسودان الغربي، كان الخط المغربي هو المستخدم فيها.[28]

6-3-3- نظام السطر أو التسطير:

إن الهدف من التسطير كما هو معروف، هو تنظيم الكتابة اليدوية لمنع التداخل والاعوجاج.[29] ولم يكن في البداية معدل ثابت لعدد الأسطر في كل صفحة فيختلف عدد الأسطر من صفحة إلى أخرى في المخطوط الواحد، ومن المحتمل أن يكون ذلك راجعا إلى أن النساخ لم يسطروا أوراق الكتابة أولا وقبل التدوين أو تكون أوراق الكتابة نفسها مختلفة الحجم، أو أن التسطير لم يكن في المخطوطات الكبيرة التي تحوي عدّة مجلدات، أو في المصاحف كبيرة الحجم، فالأمر متروك للناسخ وحسب أسلوبه في الكتابة؛ فإذا اختط لنفسه خطة معينة والتزم بها في التدوين من البداية إلى النهاية سيكون عدد الأسطر في كل صفحة من صفحات المخطوط واحدا، وإن لم يبدأ بخطة ثابتة فسيكتب سطورا في الصفحة الواحدة غير سطور الصفحة التي تليها.

كما أن المسافة بين السطر واحدة ولا تُزاد هذه المسافة إلا عند بداية باب جديد أو فصل جديد، وسعة الفصول وضيقها على مقدار تناسب الكلام، فإن كان القول المستأنف مشاكلا للقول الأول أو متعلقا بمعنى منه جُعل الفصل صغيرا وإن كان مباينا له بالكلية جُعل الفصل أكبر من ذلك، لذلك كانت تتساوى المسافات التي بين السطور في الصفحة الواحدة ولا تتجاوز معدلها إلا في حالات الانتقال من فكرة إلى أخرى أو من وضع إلى آخر.[30]

على أن عدد السطور يختلف من مخطوط لآخر، وذلك راجع لعوامل منها حجم الورق حجم الخط واتساع المسافة بين السطور، وقد ذكر الحلوجي أن عدد السطور على وجه التقريب في صفحات مخطوطات القطع الصغير تتراوح مابين 12 إلى 15 سطرا، وفي مخطوطات القطع المتوسط ما بين 20 إلى 25 سطرا، وفي مخطوطات القطع الكبير تتراوح ما بين 25 إلى 30

[28] فيصل نايم، المظاهر الفنية على مخطوطات الجزائر –بين الطراز المحلي والطراز العثماني-، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم، معهد الآثار، 2016 2017 .أنظر أيضا رسالة ماجستير لنفس الباحث، فن تجليد وتذهيب مصاحف الجزائر خلال العهد العثماني ، معهد الآثار، جامعة الجزائر (2)، 2011 ، 2012.

[29] عبد العزيز بن محمد المسفر، المرجع السابق، ص88، 89.

[30] عزت ياسين أبو هيبة، المرجع السابق، ص 48.

ISSN : **2602-618X**
EISSN: **2710-8031**

سطر.[31] أما فيما يخص المخطوط موضوع الدراسة فسطوره جاءت منتظمة وبقطة غليظة في جميع صفحاته وبشكل ثابت بعدد اثني عشرة سطرا في كل صفحات المخطوط.

6-3-4- الشكل والإعجام:

استعمل الحبر الأحمر في الشكل مع الكتابة باللون الأخضر الذي خصص للتصلية. كما استعملت نفس الألوان في الإعجام.

6-3-5- كتابة الاستهلال:

يستهل المؤلفون مخطوطاتهم عادة بالبسملة تليها الحمدلة ثم مقدمة عن المخطوط تشتمل غالبا على واحد أو أكثر من العناصر التالية:

- توطئة أو تمهيد للموضوع، وأسباب تأليف الكتاب المخطوط.
- عنوان أو اسم المخطوط.
- اسم المؤلف.
- فهرس المحتويات.
- قائمة المراجع.

وقد تكون هذه العناصر لا تتوفر دائما في كل كتاب عربي مخطوط، ولكن في معظم الحالات فإننا سنجد على الأقل عنصرا واحدا منها.[32] كتب نص الاستهلال في المخطوط موضوع الدراسة بالحبر الأسود وبحروف جلية و أخرى دقيقة اشتملت على اسم المؤلف.

6-3-6- كتابة عناوين الفصول:

عناوين الفصول والعناوين الفرعية: لم يكن هناك تمييز بين الفصول وعناوينها والعناوين الفرعية، إنما كانت جميعها تشكل نصا واحدا دون تمييز في لون الحبر أو حجم الخط، ولكن فيما بعد بدأ يظهر تمييز بين الفصول والعناوين الفرعية بتضخيم الخط أو تغيير لون الحبر

[31] عبد العزيز بن محمد المسفر، المرجع السابق، ص 89.
[32] عبد العزيز محمد بن المسفر، المرجع السابق، ص86.

ISSN : **2602-618X**
EISSN: **2710-8031**

ليسهل التمييز بينها،[33] حيث كانت الأبواب والفصول كثيرا ما ترد مكتوبة في وسط السطر مبدوءة بكلمة باب أو فصل ثم يسرد المؤلف أو الناسخ المادة العلمية بإتباع أسلوب جديد يقوم على تمييز عناوين الأبواب والفصول بإحدى وسيلتين أو طريقتين أو بهما معا: الأولى تكبير حجم خط عنوان الباب أو الفصل، والثانية هي تغيير لون المداد بحيث يكون مخالفا لمداد بقية نص المخطوط. كما نُفدت كتابة الفصول في المخطوط باللون الذهبي وبحروف كبيرة حتى تتميز على باقي النص، ووردت عناوين الفصول بتسمية المقامات كالمقامة الأولى والمقامة الثانية..، أنظر الصورة (03).

6-3-7- كتابة النص:

استعمل الحبر الأسود في كتابة نص المتن واستعملت الحروف الدقيقة نوعا ما والحروف الغليظة، وكتبت العبارات ذات الأهمية بحروف حمراء أو ذهبية أو سوداء اللون بقطة غليظة.

6-3-7- كتابة ختام المخطوط (الحرد):

تختلف نهاية المخطوط عن نهاية آخره إلا أنها في كلتي الحالتين تفيد التمام أو الكمال أو بإتباعه بأجزاء أخرى إن كان المؤلف قد قسمه إلى أجزاء؛ فترد عبارة انتهى الجزء كذا أو تم الجزء كذا ويتلوه إن شاء الجزء كذا وأوله كتاب كذا أو باب كذا ثم يأتي بعد ذلك تاريخ النسخ محددا بالوقت (الصباح أو الضحى أو الظهر أو العصر) ثم اليوم والشهر والسنة وغالبا ما تكون هذه النهاية على شكل هرم مقلوب وتسمى هذه الخاتمة بحرد المتن في المخطوطات المتأخرة خاصة، وفي بعض الأحيان يقوم الناسخ بذكر اسمه والمكان الذي تم فيه النسخ بعد التاريخ الذي ذكره أولا ومن الجائز أن يقدم الناسخ اسمه قبل التاريخ والمكان،[34] كما كانت تحلى الصفحات الأخيرة لبعض المخطوطات بحلية زخرفية مماثلة وقد امتدت الزخارف إلى الصفحات الداخلية من المخطوط خصوصا في القرن الخامس الهجري وما بعده، وزُخرفت الكثير من الحواشي للمخطوطات وتخللت الزخارف الفراغات بين السطور في بعض المخطوطات إلا أنها لم تؤثر على النص الكتابي.[35] وتعتبر نهاية المخطوط مصدرا أساسيا من المصادر التي تفيد وتعين الباحث

[33] فضل جميل كليب، المرجع السابق، ص37.

45. عزت ياسين أبو هيبة، المرجع السابق، ص [34]

[35] ناهض عبد الرزاق القيسي، الفنون الزخرفية العربية والإسلامية، دار المناهج للنشر والتوزيع، الأردن، 2009، ص180.

ISSN : **2602-618X**
EISSN: **2710-8031**

على معلومات كثيرة عن المخطوط لتوثيق نسخته، وتقوم غالبا مقام صفحة العنوان تماما أو بنفس درجة الأهمية لها وتتزايد هذه الأهمية بمرور الزمن.[36] وورد نص ختام مخطوط التحفة المرضية بحروف ذهبية اللون بقطة غليظة، وتظهر عليها التأثيرات المشرقية والتي نجدها أحيانا في بعض المخطوطات المحلية ويكون موطنها في بعض المظاهر الفنية الي يشملها المخطوط كالخط العربي، بحيث نجد أن التأثيرات مست الخط المغربي في كل من نص الاستهلال وفي عناوين الأبواب أو المقامات وختام المخطوط. أنظر صورة (04)

خاتمة:

حاولنا من خلال هذه الدراسة إبراز جمالية مظاهر الفنون على المخطوط وتعلق الأمر بالخط الذي كتب به نص المخطوط وهو الخط المغربي أين ظهرت عليه بعض التأثيرات المشرقية في نص الاستهلال ونهاية المخطوط وكذلك في عناوين الفصول، بالإضافة إلى تنميق وتزويق بعض صفحات المخطوط التي احتوت على علامات الحواشي كالشموس والدوائر بألوان مختلفة، وبعض الدوائر الذهبية اللون للتمييز بين الفواصل ونهايات الجمل، كما استعمل الحبر الأسود للكتابة والحبر الأحمر أحيانا للشكل و الإعجام، كما نفذت كتابة العناوين أو المقامات بالحبر الأخضر وبعض الكلمات الهامة كالأسماء والألقاب والمدن وذات الاهتمام الواسع.

قائمة المراجع:

- أد/أحمد جعفري، أ/أحمد راجع، الحقل الدلالي في مقامات محمد بن ميمون الجزائري ق18
- انس خلدوف، المخطوطات العربية وتقاليدها، الطبعة الأولى، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، 2009.
- رحلة ابن حمادوش، تحقيق : أبو القاسم سعد الله، المكتبة الوطنية، 1983
- رشيد بن مقدم، من نفائس مخطوطات المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزء الأول ، منشورات المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، 2013.
- عبد العزيز بن محمد المسفر، المخطوط العربي وشيء من قضاياه، الرياض.

45. عزت ياسين أبو هيبة، المرجع السابق، ص [36]

ISSN : **2602-618X**
EISSN: **2710-8031**

عزت ياسين أبو هيبة، المخطوطات العربية - فهارسها وفهرستها ومواطنها في جمهورية مصر العربية - الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1989 .

- معجم الأعلام، عادل نويهض، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، 1980.
- فضل جميل كليب، فؤاد محمد خليل عبيد، المخطوطات العربية - فهرستها علميا وعمليا- الطبعة الأولى، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان.
- محمد المنوني، تاريخ الوراقة المغربية - صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط إلى الفترة المعاصرة - منشورات كلية الاداب والعلوم الإنسانية بالرباط - سلسلة بحوث ودراسات، رقم 2، جامعة محمد الخامس، المملكة المغربية، 1991.
- محمد بن سعيد شريفي، خطوط المصاحف عند المشارقة والمغاربة-من القرن الرابع الى القرن العاشر الهجري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1975
- ناصر الدين سعيدوني، -من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي- تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين، الطبعة الأولى دار الغرب الاسلام، بيروت، 1999
- ناهض عبد الرزاق القيسي، الفنون الزخرفية العربية والإسلامية، دار المناهج للنشر والتوزيع، الأردن، 2009 .
- نوار سامي محمد، فن صناعة المخطوط الفارسي، الطبعة الأولى، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية.

الرسائل الجامعية:

- خيرة بن بلة، دراسة في النقوش الكتابية التذكارية على المباني بمدينة الجزائر في العهد العثماني، رسالة ماجستير جامعة الاسكندرية، 1993.
- فيصل نايم، فن تجليد وتذهيب مصاحف الجزائر في العهد العثماني، رسالة ماجستير، معهد الآثار، 2012، 2011.
- فيصل نايم، المظاهر الفنية على مخطوطات الجزائر خلال العهد العثماني-بين الطراز المحلي والطراز العثماني-، اطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في الآثار الاسلامية، معهد الآثار، 2016-2017.

المجلات:

- بسام الدغستاني، المخطوط العربي الاسلامي —حفظه، معالجته، ترميمه- الدورة العربية الخامسة لترميم المخطوطات، دبي، 2002.

ISSN : **2602-618X**
EISSN: **2710-8031**

صورة(1) :إطار الاستهلال

صورة(2):
علامات الحاشية صفحتي الاستهلال

صورة (3):
عناوين الفصول والأبواب على شكل مقامات

دراسة أثرية فنية لمخطوط
التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية
فيصل نايم، المجلد3، العدد1، يناير 2020 ، ص ص: 273-291

ISSN : **2602-618X**
EISSN: **2710-8031**

صورة(4): نص الختام-الحرد-

صورة(5):علامات نهاية الجمل والترقيم